الأسرة المثاليّة في قصّة آل عمران

(دراسة قرآنيّة)

بحث مقدم لتكملة شروط الحصول على الدرجة الجامعية الأولى (S.S.I)

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إعداد:

رفعة الحسنة

رقم التسجيل: ١٠٧٠٦٠٠٠١٤٢٠

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

١٤٣٢ هـ/٢٠١١ م

Al-usroh Al-mitsâliyyah Fî Qishah Âl-'imrân
*Dirâsah Qur'*âniyyah

Skripsi
Diajukan kepada Fakultas Dirasat Islamiyyah
untuk Memenuhi Persyaratan Memperoleh
Gelar Sarjana Studi Islam (S.S.I)

Oleh:

Rifatul Hasanah
NIM: 107060001420

Pembimbing:

Ahmad Kusyairi Suhail, MA
NIP. 19680407 200604 1001

FAKULTAS DIRASAT ISLAMIYAH
UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SYARIF HIDAYATULLAH
JAKARTA
1432 H/ 2011 M

الأسرة المثاليّة في قصّة آل عمران

(دراسة قرآنيّة)

بحـــث

مقدم إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

للحصول على الدرجة الجامعية الأولى (S.S.I)

إعداد الطالبة:

رفعة الحسنة

رقم القيد/ ١٠٧٠٦٠٠٠١٤٢٠

تحت إشراف:

(أحمد قشيرى سهيل الماجستير)

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

البرنامج الدولي بالتعاون مع جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة

٢٠١١ م/ ١٤٣٢ هـ

تقرير لجنة المنـــاقشة والحكم على البحث

تمت مناقشة هذا البحث الذي تقدمت به الطـــالبة/رفعة الحسنة إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا للحصول على الدرجة الجامعية الأولى (S.S.I)، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية،وعنوانه:

"الأسرة المثالية في قصّة آل عمران"

بتقدير: جيّد جدّاً وذلك في ٢١ يونيو ٢٠١١ م الموافق ١٩رجب ١٤٣٢ هـــ أمام لجنة المناقشة والحكم، التي تتكون من:

الأستاذ الدكتور أبودين ناتا
عميد الكلية / رئيس اللجنة
(.....)

الدكتور عثمان شهاب
نائب عميد الكلية / سكرتيرا
(.....)

الأستاذ أحمد فشيري سهيل الماجستير
عضو اللجنة / مشرفا
(.....)

الدكتور هملك حسن
عضو اللجنة / مناقشا
(.....)

الأستاذ إمام موجوكو الماجستير
عضو اللجنة / مناقشا
(.....)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله ولي الصالحين، وناصر المؤمنين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

أقدم شكري لله عز وجل بعنايته وإرادته حتى أحصل على إتمام هذا البحث العلمي لتكملة شروط للحصول على الدرجة الجامعية الأولى (S.S.I) في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا.

وبعد الانتهاء من كتابة هذا البحث، أسرّ أن أقدم جزيل الشكر وعميق التقدير لكل من له إسهام في إتمام هذا البحث وجانب الحياة، وأخص بالذكر منهم:

١- فضيلة الأستاذ الدكتور أبودين ناتا، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية.

٢- فضيلة الأستاذ أحمد قشيرى سهيل الماجستير على تفضله بالإشراف على كتابة هذا البحث وتوجيهاته القيمة وأسأل الله تعالى أن يجزيه أحسن الجزاء والإحسان وأن يبارك له ولأهله.

٣- فضيلة الأساتذة والأستاذات الكرام بالكلية، الذين قد بذلوا جهودهم، وقاموا بواجباتهم بإلقاء المحاضرات وزودوني بالمعلومات النافعة والمعارف الغالية أكرمهم الله حق التكريم ويجزي كل حسناتهم.

٤- والدي الكريمان الحاج شرطيبي والسيدة شريعة، اللذان شملاني برعايتهما وعطفهما وقاما بتربيتي منذ نعومة أظفاري، وعلى تشجيعهما إياي في طلب العلم وإخلاص العمل، وخاصة في كتابة هذا البحث، جزاهما الله أحسن الجزاء {وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} سورة الإسراء: ٢٤.

٥- إخواني وأخواتي الأحباء: أختيني الصغيرة عمدة الصالحة، وجنّية الزهراء، وأخي الصغير أحمد خير العزم، عسى الله أن يحفظهم ويهديهم إلى ما يحبه ويرضاه.

٦- العاملون في مكتبة الجامعة والكلية على تسهيلاتهم ومساعداتهم في مراجعة المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث.

٧- وجميع الأصدقاء والزملاء في كلية الدراسات الإسلامية والعربية على مساعدتهم وتشجيعهم في كتابة هذا البحث، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

وأخيرا، أسأل الله سبحانه وتعالى وأن يرزقنا علما نافعا، ويجعل كل عملنا خالصا لوجهه الكريم، ويجعل هذا البحث نافعا لنفسي ولجميع المهتمين بالعلوم الدينية. آمين.

والحمد لله رب العالمين

جاكرتا، ٢٨ يونيو ٢٠١١م

٢٦رجب ١٤٣٢هـ

الباحثة

رفعة الحسن

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
كلمة الشكر والتقدير	أ
محتويات البحث	د

الباب الأول

مقدمة

أ. خلفية البحث	١
ب. مشكلات البحث.....	٤
ج. تحديد البحث	٥
د. أهداف البحث.....	٥
ه. أهمّيّة البحث	٥
و. منهج البحث	٦
ز. خطة البحث	٧

الباب الثاني

الأسرة المثالية والقصة

أ. الأسرة المثاليّة	٩
١. مفهوم الأسرة	٩

٢. مفهوم المثاليّة ١٢
٣. مفهوم الأسرة المثالية ١٤
٤. نظام الأسرة ١٤
ب. لمحة عن القصّة ١٦
١. مفهوم القصّة ١٦
٢. أنواع القصّة في القرآن ١٨
٣. فوائد القصّة القرآنيّة ١٩
٤. القصّة في القرآن حقيقة لا خيال ٢١

الباب الثّالث

قصّة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم، مع بيان الأسس المثلى للأسرة المثاليّة فيها

أ. قصة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم ٢٤
١. فضل الله آل عمران ٢٦
٢. نذر امرأة عمران عند الحمل ٢٩
٣. ولادة مريم عليها السلام ٣٠
٤. إعطاء رعاية مريم إلى زكريا ٣٣
٥. رجاء زكريا الذريّة ٣٦
٦. دعاء زكريا إلى الله ٣٧

٧. ولادة يحيى عليه السلام ٤٢
٨. إستجابة دعاء زكريا..... ٤٧
ب. الأسس المثلى للأسرة المثالية في قصة عمران وآل بيته ٥٠
١. تحسين النيّة..... ٥١
٢. الإيمان بأن الله هو الرازق بغير حساب..... ٥٢
٣. حسن تربية أعضاء الأسرة..... ٥٤
٤. الإكثار من الدعاء ٥٥
٥. الإيمان على قدرة الله ٥٧

الباب الرابع

الخاتمة

أ. نتائج البحث..... ٥٩
ب. الاقتراحات ٦٠
المصادر والمراجع..... ٦٢

الباب الأول

مقدمة

أ. خلفية البحث

الأسرة هي مجموعة من الأفراد، تعيشون تحت سقف واحد. فهي في معناها قريبة من معنى الأمة، التي تعيش تحت سماء واحد.[١]

ولا شك أن الأسرة المسلمة هي نواة المجتمع الصالح، فتجب العناية بها بالمحافظة على عقد زواجها الإسلامي عقدا صحيحا بعيدا عن عبث العابثين لتحقيق الأهداف السامية من الرحمة والعطف والسكن النفسي الذي هو آية من آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته[٢]، كما قال تعالى: {وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾}.[٣]

---

[١] عبد الغنى العبود، ***الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة***، (القاهرة: دار الفكر العربى، دت)، ط١، ص ٤١

[٢] محمد بن علوي المالكي الحنبي، ***أدب الإسلام في نظام الأسرة***، (دم: منقحة ومزيدة، دت)، دط، ص ٨-٩

[٣] سورة الروم: ٢١

ومن ثم لم ترد كلمة "الأسرة" انطلاقا بهذا اللفظ في القرآن الكريم، وإنما نجد كتاب الله المحكم، يستخدم كلمة "الأهل"، بمعنى الأسرة هذا.[٤]

إن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، المترل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختم بسورة الناس.[٥]

للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام والمسلمين، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وهو بالجملة الموجّة لهم في الحياة والمعاملات وشتى مظاهر الحياة.[٦]

والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة، الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجًا حكيمًا، لأنه تترل الحكيم الحميد، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة،

---

[٤] عبد الغني العبود، ***الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة***، (القاهرة: دار الفكر العربي، دت)، ط١، ص ٢٠

[٥] محمد علي الصابوني، ***التبيان في علوم القرآن***، (القاهرة: دار الفكر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ط١، ص ٨

[٦] محمد عبد الله بن مسلم، ***تأويل مشكل القرآن***، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دت)، دط، ص ٣

وتترسّم الإنسانيّة خطاها، وتبني عليها في كلّ عصر ما يلائمها، فاكتسب ذلك صلاحيّته في كلّ زمان ومكان فهو دين خلود.[٧]

ومن محتويات القرآن الكريم هو ما تكوّن فيه من الأحكام والقصص والأخبار والعلوم، ولكلّ منها فوائد خاصة وأسباب خاصة أيضا في تنزيلها، لقد أكد ذلك تعالى في كثير من الآيات القرآنية، وترد بعض هذه الآيات في السّور الآتية:

- قوله تعالى: {إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}.[٨]
- وقوله تعالى: {إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ}.[٩]
- وقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ}.[١٠]
- وقوله تعالى: {نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ}.[١١]

---

[٧] مناع القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٢م)، ط١٢، ص ١٤

[٨] سورة آل عمران: ٦٢

[٩] سورة الأنعام: ٥٧

[١٠] سورة يوسف: ١١١

[١١] سورة الكهف: ١٣

فكل هذه الآيات تدل على حقيقة القصص في القرآن، وفيها عبرة كثيرة للعالمين. فمن هذه القصص المختلفة كانت قصة مريم وأمها لما بينهما في قوة الإرتباط، وشدة الإشتباك مع مافي إيرادها من تقرير ما سيقت له قصة مريم وأمها من بيان اصطفاء آل عمران.[١٢] وفي تقييد الذريّة بكونها طيبة، إشارة إلى أن زكريا لقوة إيمانه ونقاء سريرته، وحسن صلته بربه، لا يريد ذرية فحسب وإنما يريد ذرية صالحة يرجى منها الخير في الدنيا والآخرة.[١٣]

لذلك أختار موضوع البحث "الأسرة المثالية في قصة آل عمران"، فأرجو أن تكون هذه القصة قدوة لمجتمع هذا الزمان خصوصا للأسرة.

ب. مشكلات البحث

أن هذا البحث له مشكلات تدور حول الأسئلة الأتية:

١- ما هي الأسرة المثالية؟

٢- ما هي قصة عمران وآل بيته في سورتي آل عمران ومريم؟

٣- ما هي الأسس المثلى للأسرة المثالية الواردة في قصة آل عمران؟

---

[١٢] محمد سيد طنطاوى، ***القصة في القرآن***، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م)، ط١، ج٢، ص ٩٢

[١٣] محمد سيد طنطاوى، ***القصة في القرآن***، ص ٩٣

ج. تحديد البحث

إن هذا البحث مركز في بعض الآيات القرآنية التي تحتوى على قصة عمران وآل بيته خاصة في سورتي آل عمران ومريم.

د. أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

١- معرفة مفهوم الأسرة المثالية.

٢- معرفة قصة عمران وآل بيته في سورتي آل عمران ومريم.

٣- معرفة أسس المثلى للأسرة المثالية الواردة في قصة آل عمران.

هـ. أهمّيّة البحث

لهذا البحث أهميات:

١. الإيمان بالأخبار الواردة من القرآن الكريم وكل القصص المتعلقة بالأنبياء.

٢. تحسين النية في كل عمل.

٣. الإخبار عن حسن تربية أعضاء الأسرة.

عسى أن تكون هذه الأهمية عبرة بأن قصة آل عمران هي القدوة الحسنة في الحياة اليومية لجميع المجتمع خصوصا للأسرة، لتكون الأسرة المثالية كقصة آل عمران.

و. منهج البحث

وأما المنهج في كتابة هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي. المنهج الاستقرائي يكون بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه، وجمع المعلومات المتعلقة به من هذه المظان.[١٤] وأما المنهج التحليلي فهو المنهج الذي يعني بتحليل ما أستقرأ من النصوص والأفكار.[١٥]

وذلك بالرجوع إلى دليل كتابة البحوث التي أصدرتها جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا تحت العنوان:

"Pedoman Penulisan Skripsi, Tesis dan Disertasi UIN Syarif Hidayatullah Jakarta"

---

[١٤] محمد رواس قلعة جي، ***طرق البحث في الدراسات الإسلامية***، ط١، (بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ)، ص ١٨

[١٥] محمد رواس قلعة جي، ***طرق البحث في الدراسات الإسلامية***، ص ١٩

ومراجعة الكتب والمعاجم في جمع المعلومات التي لها علاقة بموضوع البحث في بيان المفردات، وتحليل نصوص القرآنية.

ز. خطة البحث

أنظّم هذه البحث إلى أربعة أبواب:

الفصل الأول : المقدمة. وهذه المقدمة تحتوي على: خلفية البحث، ومشكلاته، وتحديده، وأهدافه، وأهميّته، ومنهجه، وخطته.

الفصل الثاني : الأسرة المثالية والقصّة. تحتاج إلى معرفة معنى الأسرة المثالية وتحتوى على: مفهوم الأسرة، ومفهوم المثاليّة. وبعدهما بيان عن نظام الأسرة.

وأما لمحة عن القصة وتحتوى على: مفهوم القصة، وأنواع القصص في القرآن، وفوائدها، والقصة في القرآن حقيقة لا خيال.

الفصل الثالث : قصّة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم، مع بيان الأسس المثلى للأسرة المثاليّة فيها. وأما قصّة عمران

وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم وتحتوى على الأمور الآتية:

فضل الله آل عمران، ونذر امرأة عمران عند الحمل، وولادة مريم عليها السلام، وإعطاء رعاية مريم إلى زكريا، ورجاء زكريا الذرية، ودعاء زكريا إلى الله، وولادة يحيى عليه السلام، واستجابة دعاء زكريا.

وأمّا الأسس المثلى للأسرة المثاليّة في هذه القصّة وتحتوى على:

تحسين النيّة، والإيمان بأنّ الله هو الرّازق بغير حساب، وحسن تربية أعضاء الأسرة، والإكثار من الدعاء، والإيمان على قدرة الله.

الفصل الرابع : الخاتمة وتحتوى على: نتائج البحث والاقتراحات، ويليها قائمة المصادر والمراجع

الباب الثّاني

الأسرة المثاليّة والقصّة

أ. الأسرة المثاليّة

وفي مفهوم الأسرة المثالية، أقوم بإعطاء معاني الإصطلاحين المستخدمين: "الأسرة" و "المثالية" على النحو التالي:

١. مفهوم الأسرة

أ) المفهوم اللغوي:

مشتق كلمة الأسرة من "أَسَرَ يأسِرُ أَسرا وإسارةً" شَدَّه بالإسار. والإسار (بكسر الهمزة): مصدر أَسرْتُه أَسْرًا وإسارا، وهو الحبل والقِدّ الذي يُشدّ به الأسير بمعنى الأخيذ. والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته.[١] ذلك أن الأسرة مشتقة من الأسر والقيد كما سبق، ومن ثم فهي توحي بالثقل، وتدل على الضيق والتبرم، وليست الأسرة في الإسلام قيدا، وإنما هي راحة نفسيّة،

[١] ابن منظور، ***لسان العرب***، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣ م)، ط٤، ج١، ص ١٤٨

وسكينة، وطمأنينة، بدونها لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة إنسانية حقيقة، وإنما هو يحيا حياة أقرب إلى حياة الحيوان.[٢]

وأستنبط أن الأسرة لغويا هي الحبل والقِدّ، والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته فيها راحة نفسيّة، وسكينة، وطمأنينة، بدونها لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة إنسانية حقيقة.

ب) المفهوم الاصطلاحي:

أن الأسرة كالمجتمع مؤسسة اجتماعية، بمعنى أنها تتكون من مجموعة من البشر، يعيشون تحت سقف واحد، رغم ما بينهم من تنوّع أو تفاوت، ومن مصلحتهم جميعا أن يرتفع شأن هذه المؤسسة الاجتماعية، من كافة النواحي، لأن ارتفاع شأنها، يعود على جميع أفرادها بالخير، وانخفاض شأنها ينعكس أيضا على جميع أفرادها، شقاء وتعاسة، وضيقا في الموارد.[٣]

---

[٢] عبد الغنى العبود، ***الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة***، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربى، د.ت.)، ص. ٢١.

[٣] عبد الغنى العبود، ***الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة***، ص ٦٩

والأسرة هي الأمّة الصغيرة، منها تعلم النوع الإنساني أفضل أخلاقه الاجتماعيّة، وهي في الوقت نفسه أجمل أخلاقه وأنفعها.[٤]

وأمّا الأسرة بوجه عام هي الجماعة الصغيرة ذات الأدوار والمراكز الاجتماعيّة، مثل: الزوج، والأب، والإبن، والإبنة يربطها رباط الدم أو الزواج أو التبني، وتشترك في سكن واحد، وتتعاون اقتصاديّا. وترتكز الأسرة في العادة على زواج شخصين ذكر وأنثى يتمتعون بعقلات جنسيّة يقرّها الدين والمجتمع.[٥]

فخلاصة القول مني بأن الأسرة اصطلاحيا هي الجماعة الصغيرة ذات الأدوار والمراكز الاجتماعيّة، مثل: الزوج، والأب، والإبن، والإبنة يربطها رباط الدم أو الزواج أو التبني، وتشترك في سكن واحد، وتتعاون اقتصاديّا، منها تعلم النوع الإنساني أفضل أخلاقه الاجتماعيّة، وهي في الوقت نفسه أجمل أخلاقه وأنفعها.

---

[٤] عبّاس محمود العقّاد، ***حقائق الإسلام وأباطيل خصومه***، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٦ه-١٩٦٦م)، ط٣، ص ٢٢٢

[٥] صالح بن إبراهيم الصنيع، ***التفكك الأسري***، (قطر: دار الكتب، ٢٠٠١م)، ط١، ص ١١٠

٢. مفهوم المثاليّة

أ) المفهوم اللغوي

وأمّا كلمة "المثاليّة" مشتق من مَثَلَ – يَمْثُلُ – مَثْلاً وَمُثْلَةً بالرجُل: نكّل، كأن ذلك مأخوذ من المَثَل (بفتح الميم) لأنه إذا شنّع في عقوبته جعله مَثَلاً وعلماً. ومَثُلَ – يَمْثُلُ – مَثَالَةً: فَضُلَ. والمِثَال جمع أَمْثِلَة ومُثُل ومُثْل: المقْدَار والشبه والشيء والقصاص. المَثَالَة (بفتح الميم): الفَضْل وحسن الحال. والمِثَالِيّ: راجع العِنَادِيّ الذي يتَّخذ له مَثَلاً أعلى يستهديه (إيديااليست)[٦]، أي شخص يستهدي في سيرته بالمثل العليا؛ وبخاصة: من يقدّم المثل العليا على الاعتبارات العملية.[٧]

فخلاصة القول من عندي بأن المثاليّة لغويا هي الشيئ الذي يتَّخذ له مَثَلاً أعلى يستهديه (إيديااليست).

---

[٦] ***المنجد في اللغة والأعلام***، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م)، ط٣٤، ص ٧٤٦

[٧] منير البعلبكي، ***الموريد قاموس إنكليزي– عربي***، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)، ط٢٦، ص ٤٤٧

ب) المفهوم الاصطلاحي

وكلمة "المثاليّة" مترجمة من (Ideal) كما يشير المصطلح أيضا إلى معنى المثل الأعلى خاصة في الفلسفة، وهو الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو الفنية، ويتخذ قدوة ونموذجا يحتذى به.[٨] أي بعبارة أخرى هي القيم الراسخة التي تستند عليها المرء في سلوكياته اليومية. وكونها تدين بدين الإسلام، وتعبد الله، وتتبع أحكام القرآن، وتسير على سنّة سيّد الأنام، فإن القيم التي تبحث عنها ما هي إلا القيم الإيمانية.[٩]

وأُلخّص أن المثاليّة اصطلاحيا هي مترجمة من (Ideal) بمعنى المثل الأعلى، وهو الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو الفنية، ويتخذ قدوة ونموذجا يحتذى به المرء في سلوكياته اليومية.

---

[٨] عبد الرحمن سيد سليمان، ***معجم التفوق العقلى إنجليزي-عربي عربي-إنجليزي***، (القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م)، ط١، ص ١٣٧

[٩] محمد مهدي الصفار، "الأسرة المثاليّة"، مادة علميّة مأخوذة في أكتوبر ٢٠١٠، من http://www.bashaer.org

٣. مفهوم الأسرة المثالية

وبعد الانتهاء من معاني الإصطلاحين "الأسرة" و "المثالية"، فخلاصة القول من عندي يناسب معنى الأسرة المثاليّة هي المجموعة من البشر يعيشون تحت سقف واحد الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو الفنية، ويتخذ قدوة ونموذجا يحتذي به. وتنتشر بين أفرادها المودة والرحمة، وتتبع أحكام القرآن، وكونها تدين بدين الإسلام، وتسير على سنّة سيّد الأنام، والقيم الإيمانيّة في سلوكيات اليومية حتى تنبت منها مجتمعا إسلاميّا مثاليّا.

٤. نظام الأسرة

جاء في القرآن معظم أحكام الأسرة مفصلة تارة ومجملة أخرى في آيات وسور متعددة بحسب تطور الأحوال.[١٠] والإسلام بنى نظام الأسرة على قواعد ثلاث:

---

[١٠] محمّد بن علوي المالكي الحني، ***أدب الإسلام في نظام الأسرة***، (دم: منقحة ومزيدة)، دط، ص ٨

- المودّة والرّحمة، الممثلة في قوله تعالى: {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١}.[١١]

- العدالة والمساوة، المتمثلة في قوله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ}[١٢]، وقوله تعالى: {فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً}.[١٣]

- التكافل والتعاون التام على مواجهة أعباء الأسرة وتحمل مشقات الحياة والإنفاق على العيال، والأصل في ذلك قوله تعالى: {وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ}[١٤]، وقوله تعالى: {أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ

---

[١١] سورة الروم: ٢١

[١٢] سورة البقرة: ٢٢٨

[١٣] سورة النساء: ٣

[١٤] سورة البقرة: ٢٣٣

مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧}.[١٥]

وهذه القواعد الثلاث ملاك الأمر للأسرة في المجتمع الإسلامي المتكافل، يضمن له صفة الدوام والاستقرار.[١٦]

ب. لمحة عن القصّة

وفي هذا العنوان الجانبي سأبحث كالمواضع الآتية: مفهوم القصّة لغة واصطلاحا، وأنواع القصص في القرآن، وفوائدها، والقصة في القرآن حقيقة لا خيال.

١. مفهوم القصّة

أ- المفهوم اللغوي:

القصّة مشتق من قَصَّ - يَقُصّ - قَصّاً- وقَصَصاً بمعنى أورده أي أخبره، والقَصص(بفتح القاف) هو الخبر، والقِصصر (بكسر القاف) جمع

---

[١٥] سورة الطلاق: ٦-٧

[١٦] عبد العزيز الخياط، ***المجتمع المتكافل في الإسلام***، (القاهرة: دار السلام، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ط٣، ص ١١٦-١١٧

القصّة التي تُكتب، وتقصّص الخبر: تتبّعه.[١٧] والقصّ فعل القاصّ إذا قصّ القصص والقصّة معروفة[١٨]، والقاصّ هو الذي يأتي بالقصّة على وجهها كأنّهم يتتبّع معانيها وألفاظها، والقصّة: الحال والأمر.[١٩]

وأستنبط أنّ القصّة هي الحال، والأمر، والخبر.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

القصة في القرآن هي إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.[٢٠] ولكن قد أتى القرآن على كثير من وقائع الماضية وتاريخ الأمم وذكر البلاد والدّيار، وتتبّع آثار كلّ قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.[٢١]

---

[١٧] ابن منظور، ***لسان العرب***، ج٧، ص ٣٨٨

[١٨] محمّد أحمد خلف الله، ***الفنّ القصصي في القرآن الكريم***، (بيروت: مؤسّسة الإنتشار العربي، ١٩٩٩م)، ط٤، ص ١٥٠

[١٩] ابن منظور، ***لسان العرب***، ج٧، ص ٣٨٨

[٢٠] زاهر بن عواض الألمعي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ط١، ص ٨٨

[٢١] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٢م)، ط١٢، ص ٣٠٦

القصّة في القرآن هي الحادثة المرتبطة بالأسباب فيهفو إليها السمع. فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين وحب الاستطلاع من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس.[٢٢]

فخلاصة القول مني بأن القصّة في القرآن هي الحادثة المرتبطة بالأسباب أو إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة التي تدل على الحقيقة وليست فيها خيال، وترسخ عبرتها في النفس.

٢. أنواع القصّة في القرآن

أنواع القصص في القرآن ثلاثة:

النّوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى،

---

[٢٢] عبد الرّحمن عبد العزيز المجيدل، ***المختصر في علوم القرآن***، (الرياض: دار الهدى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط١، ص ١٠٩

ومحمّد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.[٢٣]

النّوع الثاني: قصص قرآنية تتعلّق بحوادث غابرة، كقصّة أصحاب الكهف، وذي القرنين، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، ونحوهم.[٢٤]

النّوع الثالث: قصص تتعلّق بالحوادث التي وقعت في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مثل غزوة بدر وأحد في سورة آل عمران وغزوة حنين وتبوك في التوبة، غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة والإسراء.[٢٥]

٣. فوائد القصّة القرآنيّة

وللقصص القرآنية فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي:[٢٦] {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾}.[٢٧]

---

[٢٣] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص ٣١

[٢٤] زاهر بن عواض الألمعي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، ص ٨٨

[٢٥] عبد الرّحمن عبد العزيز المجيدل، ***المختصر في علوم القرآن***، ص ١١٠

- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله:[٢٨] {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾}.[٢٩]

- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.[٣٠]

- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبره به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.[٣١]

- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل[٣٢]، قال تعالى: {كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ

---

[٢٦] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص ٣٠١

[٢٧] سورة الأنبياء: ٢٥

[٢٨] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص ٣٠١

[٢٩] سورة هود: ١٢٠

[٣٠] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص ٣٠١

[٣١] منّاع قطّان، ***مباحث في علوم القرآن***، ص ٣٠١

[٣٢] عبد الرّحمن عبد العزيز المجيدل، ***المختصر في علوم القرآن***، ص ١١١

حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾}.[٣٣]

- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس[٣٤]، قال تعالى: {لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ}.[٣٥]

٤. القصّة في القرآن حقيقة لا خيال

القصّة في الأدب العربي تترع أحيانا إلى الخيال، ويجد السامع أو القارئ لها أثرا بليغا في نفسه، لأن النفس تميل إلى العجائب والغرائب أحيانا في أثناء القصّة، فقد ترد القصّة في الأدب العربي متعددة على الخيال المجنّح وليس لها صلة بالحقيقة في الواقع.

أما القصص القرآنية فإنها تعتمد على الحقيقة، وليست فيها خيال، بل كلها حقائق، كما قصّها الله تعالى في كتابه العزيز، ولكنّه يورد ذلك في أسلوب قصصي أخّاذ فتطرب له النفوس وتصغي إليه الآذان، وهذا ماجعل

---

[٣٣] سورة آل عمران: ٩٣

[٣٤] عبد الرّحمن عبد العزيز المجيدل، ***المختصر في علوم القرآن***، ص ١١١

[٣٥] سورة يوسف: ١١١

أساطين البلاغة والبيان من كفّار قريش يتسللون لواذاً في الليل ليستمعوا القرآن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند قيام الليل مع نهي بعضهم بعضا عن ذلك.[٣٦]

والقرآن الكريم فإنه تنزيل من عليم حكيم، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقا للواقع، لقد أكد ذلك تعالى في كثير من الآيات القرآنية، وترد بعض هذه الآيات في السّور الآتية:

- والله تعالى هو الحق: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ }.[٣٧]
- وأرسل رسوله بالحق: {إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ} {وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ}.[٣٨] {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ}.[٣٩]

---

[٣٦] زاهر بن عواض الألمعي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، ص ٩٠

[٣٧] سورة الحج: ٦٢

[٣٨] سورة المؤمنون: ٢٦ و ٣١

[٣٩] سورة النساء: ١٧٠

- وما قصّه الله تعالى في القرآن هو الحق: {نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ ۚ}[٤٠]، {نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ}.[٤١]

وخلاصة القول: أنّ قصص القرآن الكريم حقيقة لا خيال فيها، ومن زعم وجود الخيال في القصص القرآنية فقد خلط بين القصّة في الأدب العربي وبين قصص القرآن وهذا خطأ واضح.

[٤٠] سورة الكهف: ١٣

[٤١] سورة القصص: ٣

الباب الثّالث

قصّة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم، مع بيان الأسس المثلى للأسرة المثاليّة فيها

أ. قصة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران ومريم

سورة آل عمران هي السورة الثالثة، وهي سورة مدنيّة وآياتها مئتان، نزلت بعد الأنفال. وسمّيت السورة سورة آل عمران لإيراد قصّة أسرة عمران والد مريم أم عيسى فيها، وإعداد مريم التي نذرتها أمها للعبادة، وتسخير الله الرزق لها في المحراب واصطفائها وتفضيلها على نساء عالمي زمانها، وتبشيرها بإنجاب عيسى صاحب المعجزات.[1] وتسمى الزهران، لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام. والأمان، لأن من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه. والكنز، لتضمنها الأسرار العيسوية. والمجادلة، لنزول نيّف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلّم نصارى نجران. وسورة الإستغفار، لما فيها من قوله: {وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ

[1] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م)، ط٢، ج٢، ص ١٥٢-١٥٤

بِٱلۡأَسۡحَارِ}.[٢] وطيبة، لجمعها من أصناف الطيبين في قوله: {ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ}.[٣] إلى آخره، أفاده المهايميّ.[٤]

وأما سورة مريم مكيّة وهي ثمان وتسعون آية، وموضوع السورة كسائر السور المكيّة هو إثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات البعث والجزاء من خلال إيراد قصص جماعة من الأنبياء[٥]، وسمّيت سورة مريم لاشتمالها على قصّة حمل السيدة مريم، وولادتها عيسى عليه السلام، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وما تبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد.[٦] وسورة مريم فيها أعجوبتان: قصّة ولادة يحي بن زكريا عليه السلام حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخ فانٍ وعجوز عاقر، وقصّة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب.[٧]

---

[٢] سورة آل عمران: ١٧

[٣] سورة آل عمران: ١٧.

[٤] محمّد جمال الدين القاسمي، ***تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل***، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ه—١٩٧٨م)، ط٢، ج٣، ص ٧٤

[٥] محمّد علي الصابوني، ***قبس من نور القرآن الكريم***، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠١م)، ط١، ج١، ص ٦٧

[٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج ٨، ص ٣٧٩

[٧] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٧٩

وفي هذا العنوان الجانبي سأبحث عن قصّة عمران وآل بيته المتضمّنة في سورتي آل عمران (٣٣-٤١) ومريم (١-١١). وتحتوى على الأمور الآتية: فضل الله آل عمران، ونذر امرأة عمران عند الحمل، وولادة مريم عليها السلام، وإعطاء رعاية مريم إلى زكريا، ورجاء زكريا الذريّة، ودعاء زكريا إلى الله، وولادة يحيى عليه السلام، وإستجابة دعاء زكريا.

١. فضل الله آل عمران

قال الله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤}.[٨]

"اصطفى" في اللغة اختار، فمعنى: اصطفاهم، أي جعلهم صفوة خلقه، تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة.[٩]

يخبر الله تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، وجعلهم صفوة العالمين يجعل النبوّة فيهم، فاختار آدم أبا البشر[١٠]، خلقه بيده ونفخ فيه

---

[٨] سورة آل عمران: ٣٣- ٣٤

[٩] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرازي***، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م)، ط١، ج٣، ص ٢٠

من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة.[١١]

واصطفى من بعده نوحا أبا البشر الثاني، الذي جعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض فهو شيخ المرسلين، لما عبدوا الأوثان، وانتقم له بإغراقهم بالطوفان، ونجاه هو ومن تبعه من المؤمنين في الفلك العظيم، وكان من ذريته كثير من الأنبياء والمرسلين، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات وسائر القرابات.[١٢] كما في قوله تعالى: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩} .[١٣]

واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمّد صلىّ الله عليه وسلّم، ومنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

---

[١٠] وهبة الزّحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٢٩

[١١] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (القاهرة: مكتبة مصر، دت)، دط، ج١، ص ٣٥٨

[١٢] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٢٩

[١٣] سورة الأعراف: ٥٩

واصطفى من ذرية إبراهيم آل عمران: هم عيسى وأمّه مريم بنت عمران التي ينتهي نسبها إلى يعقوب عليه السلام.[١٤] والمراد بعمران هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم عليه السلام[١٥]، وهو عمران بن ياشم، ابن ميشا بن حزقيا بن إبراهيم، وينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام. فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم.[١٦] وقال جابر الجزائري: وكان رجل صالح من صلحاء بني إسرائيل في عهدهم الأخير هو زوج حنّة وأبو مريم عليهم السلام.[١٧] وقوله تعالى: {ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ}، إنما معناه: ذرية دينُ بعضها دينُ بعض، وكلمتهم واحدة، وملّتهم واحدة في توحيد الله وطاعته. ثمّ قوله: {وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني بذلك: والله ذو سمع لقوله امرأة عمران، وذو علم بما تضمره في نفسها، إذ نذرت له ما في بطنها محرّرا.[١٨]

---

[١٤] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٢٩

[١٥] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٨

[١٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٣٠

[١٧] أبو بكر جابر الجزائري، ***أيسر التفاسير***، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م)، ط٢، ج١، ص ٢٥٦

[١٨] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م)، ط٣، ج٣، ص ٢٣٤

٢. نذر امرأة عمران عند الحمل

قال الله تعالى: {إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾}.[١٩]

امرأة عمران وهي أمّ مريم عليها السلام وهي حَنَّة بنت فاقوذ، قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوماً طائرًا يَزُقُّ فرخه فاشتهت الولد فدعت الله عزّ وجلّ أن يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون {مُحَرَّرًا} أي: خالصا مفرغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس فقالت: {رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} أي: السميع لدعائي العليم بنيتي، و لم تكن تعلم ما في بطنها أذكرًا أم أنثى.[٢٠]

---

[١٩] سورة آل عمران: ٣٥

[٢٠] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٩

٣. ولادة مريم عليها السلام

قال الله تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾}.[٢١]

فلمّا وضعت بنتاً، قالت متحسرة حزينة: إني وضعتها أنثى، وذلك أنه ما كان يؤخذ لخدمة البيت إلا الذكور.[٢٢] ثم وقوله تعالى: {وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ} معناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا، فلذلك تحسرت، وفي قراءة ابن عباس {وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ} على خطاب الله لها، أي: أنك لا تعلمين قدر هذا المرهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات.[٢٣]

---

[٢١] سورة آل عمران: ٣٦

[٢٢] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٣١

[٢٣] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرازي***، ج٣، ص ٢٥

وقوله تعالى حكاية عنها: {وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ} أي: في القوّة والجَلَد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى[٢٤]، لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس.[٢٥] ولأن أنثى لا تصلح للخدمة بسبب كونها عورة.

وقالت امرأة عمران: "إني سميتها مريم" أي خادمة الرب[٢٦]، فيه دليل على جواز التسميّة يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق وهو شرع من قبلنا.[٢٧] كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام النسائي في سننه: عَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ غُلامٍ رَهِينٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، ويُسَمَّى".[٢٨] فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا[٢٩]،

---

[٢٤] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٩

[٢٥] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٣٧

[٢٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج ٢، ص ٢٣١

[٢٧] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٩

[٢٨] النسائي، ***سنن النسائي***، ج٤، ط١، كتاب العقيقة، باب متى يُعَقّ، الحديث رقم: ٤٢٣١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م)، ص ١٠١، وابن ماجة، ***سنن ابن ماجة***، ج٢، دط، كتاب الذبائح، باب العقيقة، رقم الحديث: ٣١٦٥، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، دت)، ص ١٠٥٧

[٢٩] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرازي***، ج٣، ص ٢٦

والذي يؤكد هذا قولها بعد ذلك {وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ} أي: عَوَّذتها بالله عزّ وجلّ من شرّ الشيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى عليه السلام.[٣٠]

فاستجاب الله لها ذلك كما ورد في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "مَا مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إيَّاهُ، إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا". ثُمَّ يَقُوْلُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوْا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ}.[٣١]

---

[٣٠] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٩

[٣١] أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، ***صحيح البخاري***، ط٤، كتاب التفسير، باب "وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ"، رقم الحديث: ٤٥٤٨، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص ٨٢٠

٤. إعطاء رعاية مريم إلى زكريا

قال الله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾}.[٣٢]

قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} أي فتقبل مريم من أمها ورضى أن تكون محررة للعبادة وخدمة بيته على صغرها وأنوثتها، وكان التحرير لا يجوز إلا لغلام عاقل قادر على خدمة البيت.[٣٣] وقوله تعالى: {وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} أي رباها تربية حسنة، وصانها من كل سوء، فكان حالها كحال النبات الذي ينمو في الأرض الصالحة حتى يؤتى ثماره الطيبة.[٣٤]

ومعنى قوله تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية، أي جعله كافلا لها.[٣٥] وجعل زكريا وكان زوج خالتها وكان معروفا بالخلق والتقوى كافلا لها وراعيا مصالحها حتى شبت وترعرعت. وإنما

---

[٣٢] سورة آل عمران: ٣٧

[٣٣] أحمد مصطفى المراغى، ***تفسير المراغى***، (دمشق: دار الفكر، دت)، دط، ج١، ص ١٤٥

[٣٤] محمّد سيد طنطاوي، ***تفسير الوسيط للقرآن الكريم***، (القاهرة: دار السعادة، ١٣٩٣ه-١٩٧٣م)، دط، ج٢، ص ٨٩

[٣٥] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٥٩- ٣٦٠

قدر الله كون زكريا كفيلها لسعادتها، لتقتبس منه علما جما نافعًا وعملا صالحًا.[٣٦]

ثم قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا} قال أبو جعفر: أن زكريا كان كلما دخل عليها المحراب، بعد إدخاله إياها المحراب، وجد عندها رزقا من الله لغدائها[٣٧]، ووجد عندها خيرا كثيرا ورزقا وافرا، وألوانا من الطعام لا توجد في مثل ذلك الوقت، قال جماعة من مفسري التابعين: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.[٣٨] وأما "المحراب" قيل: المحراب أشرف المجالس وأرفعها، يروى أنها لما صارت شابة بنى زكريا عليه السلام لها غرفة في المسجد، وجعل بابها في وسطه لا يصعد إليه إلا بسلم، وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب.[٣٩]

والقول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} قال أبو جعفر: {قَالَ} زكريا:

---

[٣٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٣٢

[٣٧] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٤٤

[٣٨] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص. ٢٣٢.

[٣٩] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرازي***، ج٣، ص. ٢٨.

{يَـمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا}؟ من أيّ وجه لك هذا الذي أرى عندك من الرزق؟ قالت مريم مجيبة له: {هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ}، تعني: أن الله هو الذي رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاها.

وإنما كان زكريا يقول ذلك لها، لأنه كان فيما ذكر لنا يُغلِق عليها سبعة أبواب، ويخرج. ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. فكان يعجب مما يرى من ذلك، ويقول لها تعجبا مما يرى: {أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا}؟ فتقول: من عند الله.[٤٠]

ثم قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: {إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ} أى: إن الله تعالى، يرزق من يشاء أن يرزقه رزقا واسعا عظيما لا يحده حد، ولا تجرى عليه الأعداد التي تنتهى، فهو سبحانه لا يحاسبه محاسب، ولا تنقص خزائنه من أي عطاء مهما كثر وعظم.[٤١] فهذا يحتمل أن يكون من جملة كلام مريم، وأن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى، وقوله: {بِغَيۡرِ

---

[٤٠] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٤٦

[٤١] محمّد سيد طنطاوي، ***تفسير الوسيط للقرآن الكريم***، ج٢، ص ٩١

حِسَابٍ} أي بغير تقدير لكثرته، أو من غير مسألة سألها على سبيل يناسب حصولها[٤٢]، وهذا كقوله: {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.[٤٣]

٥. رجاء زكريا الذريّة

قال الله تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾}.[٤٤]

قال أبو جعفر: قوله تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ}، فمعناها: عند ذلك، أي: عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رَزَقها، وفضله الذي آتاها من غير تسبُّب أحد من الآدميين في ذلك لها، ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندها في الأرض، طمع بالولد، مع كبر سنه، من المرأة العاقر.[٤٥] وقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ}

---

[٤٢] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرّازي***، ج٣، ص ٣٠

[٤٣] سورة الطلاق: ٣.

[٤٤] سورة آل عمران: ٣٨

[٤٥] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٤٧

أي: من عندك {ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} أي: ولدا صالحا.[٤٦] فرجا أن يرزقه الله منها الولد، مع الحال التي هما بها، كما رزق مريم على تخلِّيها من الناس ما رزقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العاداتُ في الأرض، بل المعروف في الناس غير ذلك، كما أن ولادة العاقر غيرُ الأمر الجاريةُ به العادات في الناس.[٤٧]

ثم قوله تعالى: {إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} ليس المراد منه أن يسمع صوت الدعاء فذلك معلوم، بل المراد منه أن يجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه.[٤٨]

٦. دعاء زكريا إلى الله

قال الله تعالى: {كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي

---

[٤٦] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٦٠

[٤٧] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٤٧

[٤٨] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرّازي***، ج٣، ص ٣٢

عَاقِرًا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦}.[٤٩]

{كٓهيعٓصٓ} المراد بهذه الحروف المقطعة التنبيه في أول الكلام على ما يأتي بعدها، وتحدي العرب بالإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه، ما دام الكلام القرآني مركبا من حروف الهجاء العربية التي يتركب منها الكلام العربي نثرًا وخطابةً وشعرا.

ولا يصح القول بأن هذه الأحرف مبهمات أو تشير إلى أسرار معينة أو أنها عَلَم (اسم) أو وصف، لأنها كما قال الرازي: لا يجوز من الله تعالى أن يودع كتابه ما لا تدل عليه اللغة، لا بالحقيقة ولا بالمجاز، لأنا إن جوزنا ذلك فتح علينا قول من يزعم أن لكل ظاهر باطناً، واللغة لا تدل على ما ذكروه، فإنه ليست دلالة الكاف أولى من دلالته على الكريم أو الكبير أو على اسم آخر من أسماء الرسول صلّى الله عليه وسلّم أو الملائكة أو الجنة أو النار، فيكون حملها على بعضها دون بعض تحكماً لا تدل عليه اللغة أصلا.[٥٠]

---

[٤٩] سورة مريم: ١- ٦

[٥٠] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٧

وقوله تعالى: {ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ} أي: هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا[٥١]، الذي كان نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل، وزوجته خالة عيسى عليه السلام، وأنه كما في صحيح البخاري كان نجارا يأكل من عمل يديه في النجارة، حين دعا ربه دعاءً خفياً مستتراً، إخلاصاً وبعداً عن الرياء، ولئلا ينسب في طلب الولد وهو عجوز كبير إلى الرعونة، ويكون محل اللوم والتهكم من قومه.[٥٢] كما قال تعالى: {إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا} أي في الوقت الذي نادى فيه ربه نداءً خفيًّا.[٥٣] وقال محمّد الرّازي: راعى سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد عن الرياء وأدخل في الإخلاص.[٥٤] لقوله تعالى: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥}.[٥٥]

---

[٥١] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج٣، ص ١١٤

[٥٢] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٨

[٥٣] محمّد متولى الشعراوى، ***تفسير الشعراوى***، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٩٩١م)، دط، ج١٥، ص ٩٠٢٢

[٥٤] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرّازي***، ج٧، ص ١٦٤

[٥٥] سورة الأعراف: ٥٥

وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا} أي قال زكريا: يا ربّ، لقد صرت فاتر العظام، ضعيف القوى، هرما كثيرا الشيب جدا، ولم أعهد منك إلا إجابة الدعاء، ولم تردّني قط فيما سألتك، فما كنت خائبا، بل كلما دعوتك استجبت لي، وإني خفت أقاربي العصبات من بني العم ونحوهم إهمال أمر الدين والوحي، وكانت امرأتي (وهي أخت حَمْنة أم مريم) عاقرا لا تلد. واسم امرأته: إيشاع بنت فاقوذا بن قبيل، أخت حَمْنة بنت فاقوذا، وعلى هذا يكون يحيى ابن خالة عيسى عليهما السلام على الحقيقة.

وقوله تعالى: {فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا} أي فامنحني وأعطني من جنابك وواسع فضلك وليا يلي أمر الدين، يكون ولدا من صلبي يرثني النبوة، وهذا ما أراده وإن لم يصرح به.[٥٦] وقوله: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ}

[٥٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٨-٣٨٩

قال الحسن: معناه: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة والحبورة.[٥٧] ويرث ميراث آل يعقوب وهي وراثة العلم والنبوة على الراجح لا وراثة المال، فيرث ما عندهم من العلم ، ويقوم برعاية أمورهم في الدين.[٥٨] والمعنى: إنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه وليّا صالحا يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.[٥٩] ثم قوله: {وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا} أي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه.[٦٠]

٧. ولادة يحي عليه السلام

وولادة يحي وردت في سورتي آل عمران ومريم:

---

[٥٧] أبي محمّد الحسين بن مسعود البغويّ، ***تهذيب تفسير البغويّ معالم التنزيل***، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م)، ط١، ص ٧٢٧

[٥٨] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٩

[٥٩] أبي محمّد الحسين بن مسعود البغويّ، ***تهذيب تفسير البغويّ معالم التنزيل***، ص ٧٢٧

[٦٠] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج٣، ص ١١٤

قال الله تعالى: {يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾}.[٦١]

وقال الله تعالى: {فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾}.[٦٢]

فأجاب الله دعاءه، كما قال تعالى في سورة مريم: {يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾} أي فاستجاب الله دعاءه وناداه من جهة الملائكة: يا زكريا إنا نبشرك بمنحتنا لك غلاما اسمه يحيى (معرّب يوحنا، وهو يوحنا المعمدان الذي كان يعمّد الناس) لم يُسَمَّ

---

[٦١] سورة مريم: ٧- ٩

[٦٢] سورة آل عمران: ٣٩- ٤٠

أحد قبله بهذا الاسم.[٦٣] كما وردت في سورة آل عمران: {أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ}[٦٤] أي: بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: إنما سُمِّي يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان.[٦٥] ونلاحظ في سورة آل عمران، أن الله تعالى لما بشَّر زكريا بيحيى، وصفه بأربعة أوصاف:

أولاً: قوله {مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ} أي مصدّقاً ومؤمناً برسالة عيسى بن مريم، وسمّي عيسى "كلمة الله" لأنه خُلق بقدرةٍ عجيبةٍ فائقة، بقوله تعالى "كن" فيكون، فقد ولد من غير أب، ولم يخلق من أبوين كبقيّة البشر، وذلك نهاية الروعة وآية الإعجاز.

والثاني: أنّ يحي سيكون عالماً تقيًّا، يسود قومه ويفوقهم في العبادة والمكانة والصلاح كما قال تعالى عنه: {وَسَيِّدًا}.

---

[٦٣] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٩

[٦٤] سورة آل عمران: ٣٩

[٦٥] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٦١

والثالث: أنه عليه السلام {وَحَصُورًا} أي يحبس نفسه عن الشهوات، عفّةً وزهداً، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك، وأمّا ما قاله بعض المفسرين من أنّه كان عنيناً فباطلٌ لا يجوز على الأنبياء.[٦٦]

قال الحافظ بن كثير: "إعلم أنّ ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان {حَصُوْراً} ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوباً أو لا ذكرَ له، بل قد أنكر هذا حُذّاق المفسرين، ونقاد العلماء وقالوا: هذه نقيصةٌ وعيبٌ لا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أو يمنع نفسه من الشهوات.[٦٧] كما وردت في قوله تعالى: {مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾}.[٦٨]

فتعجب زكريا من هذه البشارة سائلا: {قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾} وهذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبُشِّر بالولد ففرح فرحًا شديدًا

---

[٦٦] محمّد علي الصابوني، ***قبس من نور القرآن الكريم***، ج١، ص ١٢٤

[٦٧] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج١، ص ٣٦١

[٦٨] سورة آل عمران: ٣٩

وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر وعتا[٦٩]، معناه انتهى سنه وكبر ونحل عظمه وفقد القدرة على جماع النساء.[٧٠] فقد وردت في سورة آل عمران: {قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾}.[٧١] قال أبو جعفر في قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} أي هو ما وصف به نفسه أنه هَيِّنٌ عليه أن يخلق ولدا من الكبير الذي قد يئس من الولد، ومن العاقر التي لا يُرْجي من مثلها الولادة، كما خلقك يا زكريا من قبل خلْق الولد منك و لم تك شيئا، لأنه الله الذي لا يعتذر عليه خلق شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه، لأن قدرته القدرة التي لا تشبهها قدرة.[٧٢]

---

[٦٩] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج٣، ص ١١٥

[٧٠] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٩٠

[٧١] سورة آل عمران: ٤٠

[٧٢] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٥٧

ومعنى قوله تعالى في سورة مريم: {قَالَ} أي الملك مجيبًا لزكريا عما استعجب منه: {قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ}[٧٣] أي: إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها {هَيِّنٌ} أي: يسير سهل على الله.[٧٤] ثم قوله: {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} أي: وليس خلق الغلام الذي وعدتك أن أهبه لك مع كبر سنك وعقم زوجك بأعجب من خلق البشر جملة من العدم.[٧٥] قال محمود الألوسي البغدادي: والشيء هنا بمعنى الموجود أي و لم تك موجودا بل كنت معدوما، والظاهر أن هذا إشارة إلى خلقه بطريق التوالد والانتقال في الأطوار كما يخلق سائر أفراد الإنسان، وقال بعض المحققين: المراد به إبتداء خلق البشر، إذ هو الواقع أثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد فكأنه قيل: وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم و لم تك إذ ذاك شيئا أصلا بل كنت عدما بحتا.[٧٦]

---

[٧٣] سورة مريم: ٩

[٧٤] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، ج٣، ص ١١٥- ١١٦

[٧٥] أحمد مصطفى المراغى، ***تفسير المراغى***، ج١٦، ص ٣٦

[٧٦] محمود الألوسي البغدادي، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، (بيروت: دار الإحياء التراث العربي، ١٤٠٥ه— ١٩٨٥م)، ط٤، ج١٥، ص ٧٠

٨. إستجابة دعاء زكريا

وإستجابة دعاء زكريا وردت في سورتي آل عمران ومريم:

قال الله تعالى: {قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١}.[٧٧]

وقال الله تعالى: {قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١}.[٧٨]

أخبر الله تعالى عن طلب آخر لزكريا هو تعرف وقت طلوع المبشر به، فقال: {قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ} أي قال زكريا: يا ربّ اجعل لي علامةً ودليلا على وقت وجود الأمر المبشر به وهو حمل امرأتي، لتستقر نفسي، ويطمئن قلبي بما وعدتني، إذ الحمل خفي في مبدئه، ولا سيما ممن انقطع حيضها في الكبر.

---

[٧٧] سورة مريم: ١٠-١١

[٧٨] سورة آل عمران: ٤١

فأجابه الله مرّة أخرى إلى مطلبه قائلا: {قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} أي قال الله بواسطة الملَك: علامتك على وقوع المسؤول وحصول البشرى من الله سبحانه بحمل امرأتك بابنها يحي أن يعتقل لسانك، ويحبس عن الكلام، فلا تقدر على تكليم الناس ومحاورتهم مدة ثلاث ليال، وأنت صحيح سوي الخَلْق، ليس بك آفة أو مرض أو علّة تمنعك من الكلام.[٧٩] اختلفوا في معنى {سَوِيًّا} فقال بعضهم: هو صفة لليالي الثلاث، وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى: آيتك أن لا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك سوياً لم يحدث بك مرض.[٨٠]

ونظير الآية في سورة آل عمران: {قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا}[٨١] ذكر ههنا ثلاثة أيام، وذكر في سورة مريم ثلاث ليال، فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية كانت حاصلة في

---

[٧٩] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٩١

[٨٠] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرازي***، ج٣، ص ٣٨

[٨١] سورة آل عمران: ٤٠

الأيام الثلاثة مع لياليها.[٨٢] وهذا دليل على أنه لم يكن يكلِّم الناس في هذه الليالي الثلاث أو أيامها إلا رمزاً أي إشارة.[٨٣]

ثم قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[٨٤] أي: فخرج زكريا على قومه من المحراب وهو مصلاه الذي بشر فيه بالولد (وهو المسمى عند أهل الكتاب بالمذبح: وهو مقصورة في مقدَّم المعبد يصعد إليها بدرج بحيث يصبح المتعبد فيها محجوباً عمن في المعبد) وقد كان الناس ينتظرونه للصلاة في الغداة والعشي.[٨٥] اتفق المفسرون على أنه أراد بالتسبيح الصلاة وهو جائز في اللغة يقال: سبحة الضحى أي صلاة الضحى وعن عائشة رضي الله عنها في صلاة الضحى: "إني لأسبحها" أي لأصليها إذا ثبت هذا فنقول روي عن أبي العالية أن البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر ويحتمل أن يكون إنما كانوا يصلون معه في محرابه هاتين

---

[٨٢] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرّازي***، ج٧، ص ١٧٤

[٨٣] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٩١

[٨٤] سورة مريم: ١١

[٨٥] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٩٢

الصلاتين فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه، فلما اعتقل لسانه خرج إليهم كعادته فأذن لهم بغير كلام والله أعلم.[٨٦]

وقال محمّد متولى الشعراوى: البكرة: أول النهار، وعشياّ: آخره، يعنى: طوِّقوا النهار بالتسبيح بداية ونهاية. وكأنّ زكريا عليه السلام قد بدتْ عليه علامات الفرح والانبساط بالبُشْرى، ورأى أنّ شُكْره لله وتسبيحه لا ينهض بهذه النعمة، فأمر قومه أن يُسبِّحوا الله معه، ويشكروه معه على هذه النعمة، لأنها لا تحضُّه وحده، بل هي عامة لكل القوم.[٨٧] فقد وردت في سورة آل عمران: {وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١} أي: واذكره ذكراً كثيراً في أيام الحُبْسة شكرا له، وسبحه في الصباح والمساء.[٨٨]

ب. الأسس المثلى للأسرة المثالية في قصة عمران وآل بيته

فإنّ هذا البحث بغرضه الخاص يهدف إلى معرفة الأسس المثلى للأسرة المثاليّة الواردة في قصّة آل عمران التي سمّيت السورة باسمه، والتي جمعت بين

---

[٨٦] محمّد الرّازي فخر الدين، ***تفسير الفخر الرّازي***، ج٧، ص ١٧٤- ١٧٥

[٨٧] محمّد متولى الشعراوى، ***تفسير الشعراوى***، ج١٥، ص ٩٠٤١-٩٠٤٢

[٨٨] أحمد مصطفى المراغى، ***تفسير المراغى***، ج١، ص ١٤٩

أفراد هذه الأسرة المباركة التي تحلّت بالإيمان والتقت على طاعة الله، فأكرمْ بها من أسرة شريفة وكونها أسرة مثاليّة، وأما الأسس المثلى للأسرة المثاليّة الواردة في هذه القصّة: تحسين النيّة، والإيمان بأن الله هو الرازق بغير حساب، وحسن تربية أعضاء الأسرة، والإكثار من الدعاء، والإيمان على قدرة الله.

١ - تحسين النيّة

كما يعتقد المسلم أن النيّة ركن الأعمال وشرطُها، فإنه يرى إن النيّة ليست مجردَ لفظ باللسان (اللّهم نويتُ كذا) ولا هي حديث نفسٍ فحسب، بل هي انبعاث القلب نحو العمل الموافق لغرض صحيح من جلب نفع، أو دفع ضُرّ حالا، أو مآلا، كما هي الإرادة المتوجهة تجاه الفعل لابتغاء رضا الله، أو امتثال أمره.[٨٩]

واذكر وقت أن قالت امرأة عمران (وهي أم مريم واسمها حنّة بنت فاقوذ) وكانت عاقرا لم تلد، واشتاقت للولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعائها، فلما تحققت الحمل قالت: ربّ إنّي نذرت لك في بطني خالصاً لوجهك الكريم، متفرغاً للعبادة وخدمة بيت المقدس وكان ذلك

---

[٨٩] أبو بكر جابر الجزائري، ***منهاج المسلم***، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، دط، ص ٥٩

جائزاً في شريعتهم، وكان على الولد الطاعة. ودعت الله أن يتقبل منها هذا النذر، وهو السميع لكل قول ودعاء، العليم بنيّة صاحبه وإخلاصه، وهذا يستدعي تقبل الدعاء، فضلاً منه وإحساناً، و لم تكن تعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى.[٩٠]

٢- الإيمان بأن الله هو الرازق بغير حساب

لقد أخبرته مريم أن الرزق الذي عندها هو من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب، إنه الإله هو القادر على أن يقول: "كن" فيكون.

وهنا ذكر زكريا نفسه، وكأن نفسه قد حدثته: "إذا كانت للقدرة طلاقة في أن تفعل بلا أسباب، وتعطى من غير حساب، فأنا أريد ولدا يخلفني، رغم أنّني على كبر ورغم بلوغى من السن عتيّا، وامرأتي عاقر". إنّ مسالة الرزق الذي وجده زكريا كلما دخل على مريم هي التي نهبت زكريا إلى ما يتمنى ويرغب.[٩١]

---

[٩٠] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٣٠-٢٣١

[٩١] محمّد متولى الشعراوى، ***تفسير الشعراوى***، ج٣، ص ١٤٥٢

قال أبو جعفر: فخبر من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقَه، بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبدَه.[٩٢] وقد أخرج أبو يعلى عن جابر "أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقام أياما لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً فأتى فاطمة فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ فقالت: لا والله فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وقالت: لأوثرن بهذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم فرجع إليها فقالت له: بي أنت وأمّي قد أتي الله تعالى بشيء قد خبأته لك قال: هلمى يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله تعالى فحمدت الله تعالى وقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فلما رآه حمد الله تعالى، وقال: من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبتي هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله سبحانه ثم قال: الحمد لله الذي

---

[٩٢] أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري***، ج٣، ص ٢٤٦

جعلك شبيهة سيّدة نساء بنى إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله تعالى رزقاً فسئلت عنه قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع أهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة رضي الله تعالى عنها على جيرانها".[٩٣] وهذا دليل على قدرة الله سبحانه على كل شيء، وعلى رعايته لمريم ، فقد رزقها سبحانه من حين لا تحتسب، ودليل على وقوع الكرامة لأوليائه تعالى.[٩٤]

٣- حسن تربية أعضاء الأسرة

إن التغير الاجتماعي الذي واكب التصنيع والتقنية ترك آثارا متعددة في السلوك الأخلاقي للأسرة، فقد خرجت المرأة مع الرجل إلى العمل في المجتمعات المعاصرة، منصرفين عن مسؤولية تربية الأبناء ورعايتهم والقيام بمتطلباتهم المتعددة المتنوعة، ليعودوا إلى البيت منهكين متعبين من العمل،

---

[٩٣] محمود الألوسي البغدادي، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، ج٣، ص ١٤١

[٩٤] محمّد سيد طنطاوي، ***تفسير الوسيط للقرآن الكريم***، ج٢، ص ٩١

فيخلدون إلى الراحة، مما يجعل الأبناء يفقدون عواطف المحبة والراحة والحنان والرعاية والتوجيه السليم لأخلاقهم.[٩٥]

خلافا عن قصة مريم بعد ولادتها، فتقبل الله مريم من أمّها بأبلغ قبول حسن، ورضي أن تكون محررة خالصة للعبادة وخدمة البيت على صغرها وأنوثتها، ورباها ونماها بما يصلح أحوالها تربية عالية تشمل الجسد والروح، كما يربى النبات في الأرض الصالحة بعد تعهد الزارع إياه بالسقي والتسميد والعزق وقلع الأعشاب الضارة من حوله.[٩٦] وهكذا قيض الله تعالى لمريم كل ألوان السعادة الحقيقية، فقد قبلها لخدمة بيته مع أنها أنثى، وأنشأها حسنة بعيدة عن كل نقص خلقى أو خلقى، وهيأ لها وسائل العيش الطيب من حيث لا تحتسب.[٩٧]

٤- الإكثار من الدعاء

---

[٩٥] خالد بن جامد الحازمي، ***أصول التربية الإسلامية***، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ط١، ص ٣١٢

[٩٦] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٢، ص ٢٣٢

[٩٧] محمّد سيد طنطاوي، ***تفسير الوسيط للقرآن الكريم***، ج٢، ص ٨٩

إن الدعاء متى صدر من قلب سليم، ومن لسان صادق، كان مرجو القبول. ومن أعظم الأدلة على ذلك ما حكاه القرآن في آيات متعددة عن زكريا عليه السلام فإنه رفع أكف الضراعة إلى خالقه بمشاعر نقية، وبمقاصد شريفة، وبنفس مطمئنة، وبدعاء خاشع، فكانت نتيجة هذا الدعاء، الإجابة من الله تعالى لأن زكريا عليه السلام وزوجه كانا يسارعان في الخيرات، ويدعوان الخالق عزّ وجلّ رغبا ورهبا، وكانا من المخبتين المتواضعين، لا من المتكبرين المتجبرين، ومن الشاكرين لنعمه تعالى لا من الجاحدين لها.[٩٨] فالعلّة في طلب الولد دينيّة محضة، لا يطلبه لمغْنَم دنيوي، إنما شغفه بالولد لأنه لم يأمن القوم من بعده على منهج الله وحمايته من الإفساد.[٩٩]

ويلاحظ أنه ذكر مسوغات ثلاثة لدعائه، تستدعي العطف والرحمة والشفقة، وهي:

- ضعف البدن باطناً وظاهراً، أي ضعف العظام وظهور الشيب.
- كونه مستجاب الدعاء، فلم يكن في وقت من الأوقات خائبا، بل كان كلما دعا ربه أجابه.

---

[٩٨] محمد سيد طنطاوى، ***القصة في القرآن***، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م)، ط١، ج٢، ص ١٠٢

[٩٩] محمّد متولى الشعراوى، ***تفسير الشعراوى***، ج١٥، ص ٩٠٢٤

- خوفه من ورثته من ضياع الدين وما يوحى إليه بعد موته، ولم يكن خوفه من إرث المال، فإن النبي أعظم مترلة وأجل قدرا من الإشفاق على ماله، ولأنه لم يكن ذا مال، وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده، ولأنه كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "لاَ نُوْرِثُ، مَا تَرَكْنَاَ صَدَقَةً" وفي رواية الترمذي: "نَحْنُ معشَر الأَنْبِيَاء لاَ نُوْرث"، ويكون ميراث الأنبياء هو وراثة النبوّة أو العلم والمحافظة على الدين والدعوة إليه.[١٠٠]

وقال محمّد علي الصابوني: قدّم زكريا عليه السلام على طلب الولد أمور ثلاثة:

أحدها: كونُه ضعيفاً.

والثاني: أن الله ما ردّ دعاءه البتّة.

والثالث: كونُ المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدّين.[١٠١]

٥- الإيمان على قدرة الله

[١٠٠] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٨٨-٣٨٩

[١٠١] محمّد علي الصابوني، ***قبس من نور القرآن الكريم***، ج٢، ص ٧٢

أن قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء، فقد وهب الله تعالى نبيه زكريا الذرية الصالحة، بعد أن بلغ من الكبير عتيا، وبعد أن اشتعل رأسه شيبا وبعد أن يئس من حمل امرأته التي كانت عاقرا لا تلد، وعندها تعجب زكريا من حصوله على الولد، وبعد كل ذلك، أجابه سبحانه بما يزيل هذا العجب، بأن أخبره بأنه عزّ وجلّ قد أوجده من العدم، ومن كان كذلك فهو قادر على أن يرزقه بهذا الغلام الذي لم يجعل له من قبل سميا.[١٠٢]

وهذا دليل على القدرة الإلهية الفائقة، فإنه تعالى يسهل عليه كل شيء، وقد قرر هنا أن الأمر سهل يسير عليه، وذكر ما هو أعجب مما سأل عنه زكريا، بحسب تقدير الناس، والحقيقة أن الأمرين على قدرة الله سواء، فسيان خلْق الإنسان من العدم أو من طريق التوالد، ومن قدر على خلق الذات، فهو قادر على تبديل الصفات، فيعيد الله إليه وإلى زوجته القدرة على الإنجاب[١٠٣]، كما قال: {فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ}.[١٠٤]

---

[١٠٢] محمد سيد طنطاوى، ***القصة في القرآن***، ج٢، ص ١٠٢

[١٠٣] وهبة الزحيلي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ج٨، ص ٣٩٠-٣٩١

[١٠٤] سورة الأنبياء: ٩٠

الباب الرابع

الخاتمة

أ. نتائج البحث

إنه لقد تمت هذه الرسالة، أحصل عدة النتائج المهمة من هذه الرسالة، ومنها:

١. الأسرة المثاليّة هي المجموعة من البشر يعيشون تحت سقف واحد الذي وصل الغاية من النواحى الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو الفنية، ويتخذ قدوة ونموذجا يحتذى به. وتنتشر بين أفرادها المودة والرحمة، وتتبع أحكام القرآن، وكونها تدين بدين الإسلام، وتسير على سنّة سيّد الأنام، والقيم الإيمانيّة في سلوكيات اليومية حتى تنبت منها مجتمعا إسلاميّا مثاليّا.

٢. وقصّة عمران وآل بيته الواردة في سورتي آل عمران (٣٣-٤١) و مريم (١-١١) هي: فضل الله آل عمران، ونذر امرأة عمران عند الحمل، وولادة مريم عليها السلام، وإعطاء رعاية مريم إلى زكريا،

ورجاء زكريا الذريّة، ودعاء زكريا إلى الله، وولادة يحيى عليه السلام، وإستجابة دعاء زكريا.

٣. وأما الأسس المثلى للأسرة المثاليّة الواردة في هذه القصّة هي: تحسين النيّة، والإيمان بأنّ الله هو الرّازق بغير حساب، وحسن تربيّة أعضاء الأسرة، والإكثار من الدعاء، والإيمان على قدرة الله.

ب. الاقتراحات

وفي النهاية، أريد أن أقدم بعض الاقتراحات الموجزة وهي تحتوى على الأمور الآتية:

١. على القارئ أن يعترف بحقيقة الأسرة المثالية وتكون قصّة عمران وآل بيته قدوة، لأنهم علّمونا الإخلاص في العبادة، والتقوى على الله، والإيمان على قدرة الله.

٢. على الباحثين في مجالات البحث العلمي أن يكون البحث مكمل لهذا البحث البسيط، لأن الباحثة قد بحثت عن جوانب المتعلقة بقصّة عمران وآل بيته التي وردت في سورتي آل عمران ومريم فحسب.

وفي الختام، نسأل الله جل وعلا أن يفتح علينا فتوح العارفين ويرزقنا كمال الإخلاص واليقين، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ***تفسير القرآن العظيم***، دط، القاهرة: مكتبة مصر، دت

ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، ***سنن ابن ماجة***، دط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، دت

ابن مسلم، محمد عبد الله، ***تأويل مشكل القرآن***، دط، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دت

ابن منظور، محمد بن مكرم ، ***لسان العرب***، ط٤، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣ م

الألمعي، زاهر بن عواض، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، ط١، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

البخاري، أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل، ***صحيح البخاري***، ط٤، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

البغدادي، محمود الألوسي، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، ط٤، بيروت: دار الإحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م

البعلبكي، منير، ***المورد قاموس إنكليزي - عربي***، ط٢٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م

البغويّ، أبي محمّد الحسين بن مسعود، ***تهذيب تفسير البغويّ معالم التنزيل***، ط١، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

جابر الجزائري، أبو بكر، ***منهاج المسلم***، دط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م

الجزائري، أبو بكر جابر، ***أيسر التفاسير***، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الحازمي، خالد بن جامد، ***أصول التربية الإسلامية***، ط١، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م

الحني، محمد بن علوي المالكي، ***أدب الإسلام في نظام الأسرة***، دط، دم: منقحة ومزيدة، دت

خلف الله، محمّد أحمد، ***الفنّ القصصي في القرآن الكريم***، ط٤، بيروت: مؤسّسة الإنتشار العربي، ١٩٩٩م

الخياط، عبد العزيز، ***المجتمع المتكافل في الإسلام***، ط٣، القاهرة: دار السلام، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

الزحيلي، وهبة، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

سيد سليمان، عبد الرحمن، ***معجم التفوق العقلى إنجليزي-عربي عربي-إنجليزي***، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م

سيد طنطاوي، محمّد، ***تفسير الوسيط للقرآن الكريم***، دط، القاهرة: دار السعادة، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م

الشعراوى، محمّد متولى، ***تفسير الشعراوى***، دط، القاهرة: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٩٩١م

الصابوني، محمد علي، ***التبيان في علوم القرآن***، ط١، القاهرة: دار الفكر، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م

_____، ***قبس من نور القرآن الكريم***، ط١، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠١م

الصنيع، صالح بن إبراهيم، ***التفكك الأسري***، ط١، قطر: دار الكتب، ٢٠٠١م

الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، ***تفسير الطبري***، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طنطاوى، محمد سيد، ***القصة في القرآن***، ط١، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م، ص ٩٢

العبود، عبد الغنى، ***الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة***، ط١، القاهرة: دار الفكر العربى، دت

العقّاد، عبّاس محمود، ***حقائق الإسلام وأباطيل خصومه***، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م

الرّازي، فخر الدين محمّد، ***تفسير الفخر الّرازي***، ط١، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م

القاسمي، محمّد جمال الدين، ***تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل***، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٨م

القطان، مناع، ***مباحث في علوم القرآن***، ط١٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٢م

قلعة جي، محمد رواس، ***طرق البحث في الدراسات الإسلامية***، ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ

المجيدل، عبد الرّحمن عبد العزيز، ***المختصر في علوم القرآن***، ط١، الرياص: دار الهدى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

محمد مهدي الصفار، "الأسرة المثاليّة"، مادة علميّة مأخوذة في أكتوبر ٢٠١٠، من http://www.bashaer.org

المراغى، أحمد مصطفى، ***تفسير المراغى***، دط، دمشق: دار الفكر، دت

المنجد في اللغة والأعلام، ط٣٤، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ***سنن النسائي***، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م